

# صناعة كسوة الكعبة تقليد إسلامي تتوارثها الأجيال

## مهنة يبرع فيها البشر وتعجز حيالها الآلات الحديثة



على الرغم من التطور التكنولوجي، فإن المصنعين يجدون أنفسهم عاجزين عن ابتكار آلة تعوض اليد العاملة في تجهيز كسوة الكعبة الشريفة التي يجري تغييرها سنويا خلال موسم الحج، فصناعة هذه القطعة الحريرية السوداء المنقوشة عليها آيات من القرآن من ماء الذهب صناعة فريدة يتسابق أكبر فناني العالم الإسلامي على نيل شرف صناعتها.

صناعة فريدة تمتاز فيها التقنيات الحديثة بالأدوات التقليدية، الوارد والمحلي، الروحي والجمالي. وتدخّل الخامات المستخدمة المعامل لاختبارها أولا والتأكد من جودتها ومطابقتها للمواصفات. وفي جامعات المملكة دراسات علمية مسجلة عن عملية تصنيع الكسوة.

### تاريخ الكسوة

كسا العرب قبيل الإسلام الكعبة تشريفا وتعظيما لها، وعندما كساها النبي محمد (ص) بعد فتح مكة في العام التاسع للهجرة أصبحت كسوتها شعيرة إسلامية يحرس عليها الخلفاء والحكام المسلمون على مر العصور.

وأفاد الباحث العراقي المتخصص بالتاريخ الإسلامي، رشيد الخيون، بأن المسعودي "ذكر في مروجيه أن الكعبة قبل الإسلام كسيت بادية زعماء قريش، وسمي ذلك بالوصائل، وتحدث الطبري في تاريخه أن الكسوة كانت لا تُنزع إنما تضاف عليها الكسوة الجديدة، وحدث أن ذكر حُجّاب الكعبة للمهدي بن أبي جعفر المنصور أن البناء قد يُهدم لكثرة الكسوة التي عليه، فأمر ببنائها ووضع الكسوة الجديدة عليها، فوصل النزاع إلى كسوة هشام بن عبد الملك، وقبل كسوته كانت كسوة من نسج يمانى".

وانتقلت مسؤولية صناعة الكسوة إلى المملكة بعد أن ظلت تقليدا مصرية لقرون. وفي مصنع إنتاج الكسوة في مكة يستخدم حريز وأصباغ من إيطاليا وخبوط من الفضة بعضها مطلي بماء الذهب من ألمانيا، لكن الآلات الحديثة لم تستطع حتى الآن أن تحل محل العمالة اليدوية بسبب الحرف البارز المستخدم في نقش الآيات القرآنية عليها.

ولفت أحمد بوعتتر، وكيل العلاقات العامة في مجمع الملك عبدالعزيز لكسوة الكعبة المشرفة الذي أنشئ في 1927، إلى أن صناعة الكسوة لم تستقر فيه بشكل دائم إلا منذ 1962.

وأوضح بوعتتر "لم ينجح أحد إلى الآن في ابتكار آلة قادرة على تعويض العمالة اليدوية، وذلك عائد إلى طبيعة الحروف التي تحتلحج أن تكون مرتفعة وبارزة" لكتابة الآيات القرآنية، مشيراً إلى أن محاولات تصنيع الآلة وصلت إلى اليابان وألمانيا بل وأيضاً هناك محاولات على مستوى عالمي دون فائدة.

وهذا ما شحّن كلا من عبدالله وتركي وبقية زملائهما في قسم الحزام، وهو الأكبر والأهم في مصنع الكسوة، بالثقة في استمرار الدور المحوري للعمل اليدوي في المصنع الذي لا يعمل فيه أي أجنبي منذ عهد العاهل السعودي الراحل الملك فهد الذي أمر بسعودة المصنع بالكامل.

وأكد عبدالله أن الآلة عاجزة عن العمل بالنيابة عنهم، قائلاً "حاولوا وتعبوا وأحضروا العديد من الآلات

مكة (السعودية) - عندما يطوف عبدالله خالد جاسم وولده تركي بالكعبة المشرفة وهما يرتوان إلى البيت العتيق فإنهما، بخلاف كثيرين، يميزان بسهولة الكلمات المتداخلة المنقوشة على كسوة الكعبة، إذ انكبا لنحو عشرة أشهر على كتابتها مع حوالي 170 عاملاً في مكة، أقدس بقاع الإسلام.

ويعمل الإنسان في مهنة يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام، سقاها الأب لولده الذي قد يورثها بدوره إلى ابنه إذا كان متشعباً بالإرادة والاستعداد.

وتُصنع الكسوة باستخدام 675 كيلوغراماً من الحرير الخام الأسود للجزء الخارجي والأخضر للبطانة الداخلية، إضافة إلى 100 كيلوغرام من خيوط الفضة المطلية بماء الذهب و120 كيلوغراماً من خيوط الفضة الخالصة، لكتابة الآيات القرآنية المنقوشة عليها، بتكلفة إجمالية تصل إلى 6.4 مليون دولار.



الآلات الحديثة لم تستطع حتى الآن أن تحل محل العمل اليدوي بسبب الحرف البارز المستخدم في نقش الآيات



لكن عبدالله وتركي لا يتوقفان كثيراً عند تلك التفاصيل، فالمهنة التي يتقاسمونها هي في المقام الأول مبعث "فخر وابتغاء للأجر".

وأعرب عبدالله البالغ من العمر 56 عاماً، ويعمل في مصنع الكسوة منذ حوالي 32 عاماً، عن فخره حين ينتهي من عمله وينظر للكسوة، قائلاً "من الجائز ألا يقدر الناس على قراءتها لكنني أقدر وهذا يملؤني فخراً واعتزازاً".

أما العبارات التي يميزها عبدالله وإلا الله محمد رسول الله، "الله جل جلاله"، "سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"، "يا حنان يا منان"، وسورة الإخلاص داخل دائرة محاطة بشكل مربع من الزخارف الإسلامية.

صناعة الكسوة التي يجري تغييرها سنويا خلال موسم الحج صبيحة يوم عرفة في التاسع من ذي الحجة، هي

### حرفية صقلتها السنون

الصادرة عن السلطات المختصة في المملكة. ويقوم أغلب الحجاج حالياً في مكة في حين ينتظر البعض في المدينة المنورة للتوجه إلى مكة قبيل بدء موسم الحج بقليل.

وشارت قوات الأمن السعودية في التدريبات على أساليب التصدي لهاجمين مسلحين واحتواء الحرائق. ويقام التدريب سنويا ضمن الاستعدادات لضمان سلامة الحجاج.

وفي ظل حرصها على توفير الخدمة المميزة، تبذل المملكة جهوداً كبيرة لتأمين كل سبل الراحة للحجاج في كافة مجالات الخدمة منذ بدء مرحلة الاستقبال للقادمين إلى بيت الله الحرام حتى مغادرتهم الديار المقدسة بعد انتهاء موسم الحج.



وأوضح الخيون "مثلما هي الكسوة اليوم شاهداها ابن بطوطة، أنها سواء حاككة، نسجت من الحرير المبطن بالكتان، وفي أعلاها طراز مكتوب في البيض آيات قرآنية، وكانت عندما تُنزع تُقطع وتوزع على البيوتات، ذكر أن العديد من الثائرين يهبون الكسوة من على الكعبة، مع ما يهبونه من الأشياء الثمينة التي عادة تُهدى لها".

وتجدر الإشارة إلى أن متحف قصر المنيل بالعاصمة المصرية القاهرة سيستضيف، الخميس، فعاليات معرض "يا راجين للنبي الغالي" الذي يقام بالتزامن مع احتفالات موسم الحج وعيد الأضحى المبارك، حيث سيتم تقديم قطعتين أثريتين نادرتين من كسوة الكعبة، بحسب ولاء بدوي، المدير العام.

وأشار بدوي إلى أنه سيتم عرض تاريخ كسوة الكعبة في العصر الحديث لزوار المتحف، ودار الكسوة بالحرفش وطرن والوان كسوة الكعبة عبر العصور. وشدد تركي، أثناء انشغاله بالعمل على تجهيز كسوة العام القادم بعد تسليم الكسوة الجديدة، على "فخره حين يشاهد عمله يزين الكعبة الشريفة.. لا أفضل العمل المكتبي على هذا العمل".

ووصل عدد الحجاج القادمين للمملكة العربية السعودية لأداء المناسك التي تبدأ هذا العام في التاسع من أغسطس الحالي، حتى يوم السبت الثاني من ذي الحجة، إلى 1.604 مليون حاج تقريبا بزيادة نسبتها 8 بالمائة وقدرها 117 ألف حاج تقريبا مقارنة بالفترة نفسها من عام 2018، وذلك بحسب الإحصائيات الرسمية.

وأفاد زكي يوسف بسام، الذي يعمل في المصنع منذ 35 عاماً، بأن "عامل الخبرة العملية يطغى على عامل التعليم النظري، هذا العمل أفضل من عمل الخطاط، فالخطاط يخط ونحن نخط فوق تخطيطه، لذلك فإن عملنا أصعب".

وأضاف بسام (56 عاماً) أن "أصعب الحروف هو حرف الهاء، فالعمل عليه هو وحرف الواو صعب، لكن مع الوقت والخبرة يصبح الأمر أسهل وأيسر".

ويقال عقب انتهاء الإنتاج احتفال سنوي في مصنع كسوة الكعبة لتسليمها إلى كبير سدة البيت، وفي أثناء فریضة الحج تستبدل الكعبة كسوتها لتستقبل الحجاج في ثوبها الجديد أول أيام عيد الأضحى.

ويصل الاهتمام بالكسوة إلى حد وجود فرقة كاملة في الحرم على مدار 24 ساعة لإصلاح أي تلف قد يطرأ عليها بسبب تعلق البعض بها ومحاولاته قص أجزاء منها للتبرك بها أو للذكرى.

أما الكسوة القديمة فتقطع قطعاً وتهدى من العاهل السعودي لرؤساء الدول والسلك الدبلوماسي خلال الحج.

لكنها فشلت في تادية العمل اليدوي البارز والجميل".

وينتج المصنع أيضاً، فضلاً عن الكسوة، قطعاً لسفارات المملكة ولوحات إهداء وكسوة الحجرة النبوية بالمدينة المنورة، لكن هذه لا يجري تغييرها إلا بأوامر ملكية لعدم وجود عوامل جوية تتلفها بحيث تستلزم تغييرها سنويا.

ويتولى المصنع أيضاً تنفيذ إهداءات بأوامر ملكية، فعلى سبيل المثال أهدى الملك فهد مقر الأمم المتحدة إحدى ستائر الباب في فترة من الفترات، إلى جانب إهداءات من مقام خادم الحرمين الشريفين لرؤساء الدول.

### الخبرة أهم من الموهبة

يعمل نحو مئة فني في قسم الحزام، الذي يتولى تصنيع حزام الكسوة والسقارة التي توضع على باب الكعبة والصمديات وهي تصاميم توضع على الأركان وتحوي سورة الإخلاص.

وقال فهد عودة ضيف العويضي، مدير القسم ويعمل في المصنع منذ 34 عاماً، إن هذا الجزء من المصنع يعد "قلب المصنع وفيه يجري العمل بشكل بدني وذمهي في أن، موصفاً "ذهني حتى لا يفقد العامل تركيبه فيخطئ وبالتالي يضطر إلى إعادة كل العمل من جديد، وبدني لأنه يجلس منكباً على خيوط الذهب لوقت طويل".

وأشار العويضي البالغ من العمر 55 عاماً، إلى أهمية الموهبة الفطرية في هذا العمل قائلاً "التدريب مستمر



إقبال متزايد على الحج



الكسوة تتجدد سنويا